التجربة الحسية وعلاقتها بالخيال والإنتاج الإبداعي.

دراسة
مراجعة

* سامية داود عبد الله أبو شعيشع
* الدارسة بمرحلة الدكتوراه، قسم الرسم والتصوير، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان
البريد الإليكتروني: dsamia740@gmail.com

تاريخ المقال:

- **تاريخ تسليم البحث الكامل للمجلة: 02 يوليو 2022**
- **تاريخ القرار الأول لهيئة التحرير: 05 يوليو 2022**
- **تاريخ تسليم النسخة المنقحة: 13 ديسمبر 2022**
- **تاريخ موافقة هيئة التحرير على النشر: 15 ديسمبر 2022**

الملخص:

تتناول الدراسة إلقاء الضوء بشكل مختصر على مفهوم التجربة الحسية، وما تعنيه كلمة التجربة الحسية في الفنون المعاصرة ودورها الفلسفي في تغير مفهوم العمل الفني والممارسة الابداعية، وعلاقة التجربة الحسية بالنشاط الادراكي والتخيلي المجرد، مع إلقاء الضوء على بعض الدراسات المرتبطة التي تناولت دراسة لبعض أنواع المثيرات الحسية (كالشمية والصوتية.. وهكذا) ودورها الفلسفي في تغير مفهوم العمل الابداعي، ومفهوم التفاعل في العمل الفني.

الكلمات المفتاحية: *التجربة الحسية، الخيال، الإبداع*

مقدمة:

تعد استثارة الخيال أحد أهم الظواهر الاستثنائية التي يقوم بها الفنان في جميع ممارساته، وهي أرقى مستويات الاستجابة التي يمكن لأحد من الجمهور الوصول إليها. من المثير للاهتمام كيف تتحول الأفكار والمعلومات بل والمشاعر ايضا الى خيال.

عند التفكير في التجربة الحسية، نجد أنها أمرا بديهيا وأساسيا في طبيعة ممارسة الحياة للجميع، ولكن تحول تلك التجربة الى خبرة خيالية وانتاج ابداعي، كان ذلك ما يشغل ممارسي الفن في هذا المجال.

تعتبر التجربة الحسية هي أحد أشكال البناء والتلاعب بمحتوى العقل.

يقول المصمم الياباني "كينيا هارا""Kenya Hara": " البشر هم مجموعة من الأجهزة الحساسة للغاية، المولدة للصور، والمزودة بنظام تشغيل قوي للذاكرة والتخيل"، فالمحفزات الحسية المتعددة جنبا إلى جنب مع الذاكرة هي ما تنتج التجربة الحسية".

يعتبر الوعي بأهمية التجربة الحسية أحد أهم أساليب الإنتاج الإبداعي المعاصر، حيث يستهدف الفنان قنوات الإدراك المتنوعة مثل البصر واللمس والتذوق والشم والسمع وغيرها من الحواس لإنتاج بنية من التصورات في ذهن وخيال المتلقي، وهو ما يطلق عليه التجربة الحسية في الفن المعاصر.

الفنان في مراحل تصميم التجربة الحسية لا يعتمد فقط على المدخلات الحسية الخارجية، وإنما يعتمد أيضا على الذكريات التي من المتوقع أن تثيرها تلك المحفزات الحسية.

في أواخر الستينيات من القرن الماضي اشتهر الفنان الأمريكي "بروس نومان Bruce Nauman" بإنتاج أعماله الشهيرة باسم "الممرات الضيقة"، ففي عام 1970 انتج عمله المعروف باسم "ممر الضوء الأخضر Green Light Corridor"، شكل(1)، يقابل بروس نومان في ذلك العمل بين التجربة الإدراكية، والمادية للفراغ، فالضوء الأخضر المتوهج يحث على تجربة إدراكية ظاهرية تتناقض مع ضيق الممر، أراد نومان ان يمر المشاهد بتجربة لقاء جسمه مع جسم البيئة المحيطة، ومشاركة المشاهدين في تصوراتهم التخيلية، من خلال فرض ظروف حسية مربكة وغير مريحة.

شكل (1). بروس نومان، ممر الضوء الأخضر، تجهيز في الفراغ، 1970، متحف جوجنهايم، نيويورك

وفي عام (2012)، قام مجموعة من الفنانين الروس تحت مسمى " Where Dogs Run" بإنتاج عمل فني تجريبي بعنوان "أوجه الرائحة Faces Of Smell"، شكل (2)، المشروع عبارة عن جهاز استشعار يقوم بمعالجة المعلومات الشمية، بحيث يرسل الروائح الى جهاز يقوم بتحويلها الى صور افتراضية، يحاكي المشروع قصر مدى الذاكرة الشمية نسبة للذاكرة البصرية، بحيث يقوم الشخص باستنشاق أنابيب الشم، فيقوم الجهاز بتحليل بيانات الشخص خلال المكان والزمن، ثم تحويلها الى صورة، وكان الشخص يرى وجها لرائحته.

من المثير للاهتمام انه اذا اقترب نفس الشخص من جهاز الاستشعار مرة اخرى، ستظهر له صورة مختلفة عن المرة السابقة، نظرا لقصر مدى الذاكرة الشمية ولان الرائحة تتغير باستمرار تفاعلا مع الزمن.

شكل (2). مجموعة Where Dogs Run**، أوجه الرائحة، عمل تفاعلي مجهز في الفراغ، 2012**

وفي عام 2018، قام ثلاثة من الفنانين (ستيلا سبتزيالي Stella Speziali، جوان جارسيا Juan Garcia، و إيريكا مارتنز Erika Marthins)، ببناء تجربة حسية بعنوان "معمل التذوق Taste Lap"، شكل (3)، تعتمد التجربة على الخلط بين الواقع الحقيقي والواقع الافتراضي كوسيلة لخداع العقل، واختبار الأدوار الحسية التي تقوم بها الحواس الاخرى اثناء تناول الطعام. تغمر هذه التجربة المتلقي داخل عالم افتراضي، وفي نفس الوقت يتم إطعامه من قبل شخص مجهول، أقيمت التجربة داخل مختبر الأنظمة الذكية في أستراليا.

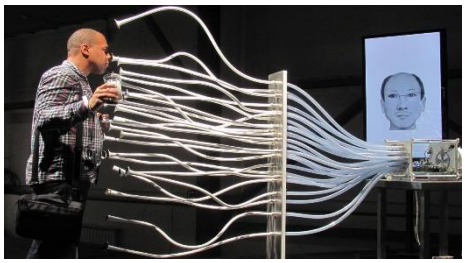

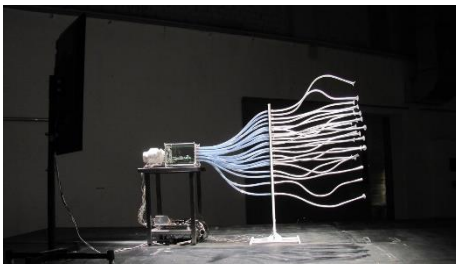

شكل (3). ستيلا سبتزيالي، جوان جارسيا، ايريكا مارتنز، معمل التذوق، عمل تفاعلي، 2018، مختبر الأنظمة الذكية، استراليا

منهجية البحث:

يتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي في تحليل الدراسات المرتبطة من خلال تناولها وفقا لعدة أطر

(أولا): الإطار المفاهيمي للدراسات المرتبطة:

تشمل الدراسة تحليل الدراسات التي تناولت المثيرات الحسية، ومفهوم التفاعل في العمل الفني

(ثانيا): الإطار الجغرافي للدراسات المرتبطة:

تشتمل الدراسة على تحليل الدراسات في مصر

(ثالثا): الإطار الزمني للدراسات المرتبطة:

اشتملت الدراسة على تحليل الدراسات في الفترة ما بين (2008 : 2016)

الدراسات المرتبطة:

(بسيوني, 2016), تناولت دراسة أحمد محمد بسيوني الأبعاد التعبيرية للمؤثرات الصوتية، كالأبعاد الزمنية و الإيهامية المتعلقة بالبناء الإيقاعي، والأبعاد السيكولوجية والفسيولوجية التي تتحدد في الاستجابة، والأبعاد المعرفية والدلالية ودور ذلك في بناء العمل الفني التشكيلي، وتأكيد العلاقة التكاملية بين المؤثر الصوتي ولغة التخاطب الحسي والانفعالي لدى المتلقي، في إطار مفهوم اتساع توظيف المدركات الحسية المتعددة لفنون ما بعد الحداثة، فاهتمت تلك الدراسة بالمؤثرات الصوتية تحديدا كمثير للتجربة الإبداعية في الفنون البصرية

(أبو حليقة, 2014), فن الأماكن المحددة في دراسة "مي حمدي أبو حليقة" تناولت تغير الإطار الثابت لمفهوم المكان في الفن نتيجة لتغير البناء التشكيلي والمفاهيمي للعمل الفني في الفنون المعاصرة، والتعرف على أبعاد المكان السيكولوجية والطبوغرافية، والأيديولوجية في ضوء علاقتها بفن الأماكن المحددة، فركزت على مفهوم المكان وأبعاده السيكولوجية، ودوره في إيجاد مداخل جمالية ومفاهيمية جديدة للعمل الفن.

(جمال, 2014), اشتملت دراسة "مياده جمال" على الفن الشمي، وتوظيف الروائح في إعادة صياغة الأفكار المتعلقة بالهوية الشخصية وتشكل الوعي والإدراك الإبداعي من خلال حاسة الشم، فتتناول بشكل محدد مفهوم الفن الشمي كأحد المداخل الفلسفية لإنتاج الفنون المعاصرة، وإمكانية تأثير حاسة الشم على عملية الإدراك الإبداعي.

(راغب, 2008), تناولت دراسة "يوسف نبيل راغب" تعريف لمصطلح الفن التفاعلي والمداخل الخاصة بدراسته على المستوى النظري والتطبيقي، والخصائص التي تتميز بها الأعمال التفاعلية على شبكة الانترنت والأعمال الريادية في مجال الميديا التفاعلية الرقمية، وتحليل أهم التيارات والاساليب الفنية التي تميزت بها الفنون التفاعلية والكشف عن العلاقة بين الفن التفاعلي وفن التصوير، ما يوضح الملامح الأساسية للفن التفاعلي وعرض تطور مفهوم الفن عبر التاريخ والفجوة بين المعايير النقدية لمفهوم الفن التقليدي ومفهوم فنون الميديا المعاصرة،

(عبد العظيم, 2010), في مجال التصميم تناولت دراسة "رحاب عبد العظيم" تصميم الاحساس كلغة جديدة في التصميم الصناعي، حيث يتم وضع هدف سيكولوجي للتصميم، وبناء عليه يتم صياغة شكل وهيئة وملمس المؤثرات الخارجية، اعتمادا على التكنولوجيا في المزج بين التصميم والاحساس الإنساني، مما يساهم في إدراك الأشكال بصورة حسية وبالتالي تحويل التصميم الواقعي إلى خيال وابداع في ذهن المتلقى. ويسهم في توضيح مفهوم وجوانب تطبيق تصميم الاحساس كقضية جديدة في التصميم الصناعي، في مقابل مفهوم وجوانب صياغة الشكل، والتأكيد على امكانية تصميم وتوجيه وصياغة المشاعر الانسانية للمتلقي من خلال المنتج البصري في مجال التصميم الصناعي، من أجل تحسين المنتج الصناعي، وتحفيز المتلقي من خلال اثارة حواسه الإدراكية كأحد أساليب التسويق للمنتج،

(ماهر, 2008), تناولت دراسة "منار علي ماهر" امكانية التأثير في البنية الإدراكية وخلق أبعاد سيكولوجية لدى المتلقي باستخدام قطع الأثاث، كأحد الأدوات المخصصة للاستخدام الإنساني والحسي، وكيفية الاستفادة من الأبعاد السيكولوجية في مراحل تصميم الأثاث، ودراسة مدى تأثيرها على التفضيل الجمالي لدى المتلقي، الأمر الذي يوضح تطور ارتباط تصميم الأثاث بالانسان

ومدى التفاعل بينهما من أجل تحسين المنتج وتوظيفه للاستخدام.

(اسماعيل, 2008), تناولت دراسة "مسعد صابر اسماعيل" الضوضاء كأحد المثيرات الحسية الصوتية وعلاقتها بالهندسة المعمارية، ومدى امكانية التحكم في المثير الحسي الصوتي، ومردوده السيكولوجي من خلال التصميم وهندسة المكان، والتأكيد على أهمية وضع محدد الضوضاء ضمن أولويات المهندس المعماري خلال عملية التصميم بصفة عامة، و كمحدد رئيسي خلال تصميم المدارس بصفة خاصة، حيث ترتبط كفاءة الأداء الوظيفي بمدى التحكم في معايير الضوضاء من خلال التصميم المعماري، وبالتالي بامكانية التحكم في الأداء السلوكي والإبداعي للتلاميذ داخل المدارس من خلال التصميم المعماري الهندسي الداخلي والخارجي.

تحليل الفجوة:

من خلال تحليل الدراسات السابقة تبين أنه بالرغم من وجود اهتمام بحثي بالتأثير الحسي داخل إطار علاقة المتلقي بالعمل الفني، إلا أنه لم يشمل التجربة الحسية وعلاقتها بالخيال والانتاج الابداعي رغم أهميته، يقوم البحث الحالي بتناول التجربة الحسية كلغة أخرى لقراءة تاريخ الفن والانتاج الابداعي، ما يطرح إشكاليات فلسفية جديدة وقراءات تحليلية أخرى لفلسفة الفن المعاصر، من خلال عرضا لمفهوم التجربة الحسية وعلاقتها بالخيال والانتاج الابداعي.

مما سبق يحاول البحث أن يطرح التساؤل التالي:

ما إمكانية تأثير التجربة الحسية على الخيال والانتاج الابداعي؟

المداخل المقترحة:

سوف تعتمد الباحثة في دراستها على عدة مداخل مقترحة لدراسة تأثير التجربة الحسية على الانتاج الابداعي كالآتي:

مدخل التشويش الحسي:

يعتمد على التدخل في عملية الإدراك الحسية التقليدية للمشاهد، كالتلاعب بالإحساس بالزمن، أو الجاذبية الأرضية على سبيل المثال، أو التلاعب في المنظور والرؤية.. وهكذا

مدخل الحرمان الحسي:

يعتمد على عزل الحواس، أو خلق بيئات حسية رتيبة، عديمة الإيقاع

مدخل التجارب الحسية الافتراضية:

يعتمد على خلق بيئات حسية افتراضية بشكل جزئي أو بشكل كامل، باستخدام الواقع الافتراضي المعزز.

المراجع:

المراجع العربية:

1. أحمد محمد بسيوني غنيم، الأبعاد التعبيرية للمؤثرات الصوتية ودورها في بناء العمل الفني التشكيلي في تصوير ما بعد الحداثة، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، 2006
2. مي حمدي عبد الحفيظ، فن الأماكن المحددة لانتاج أعمال فنية معاصرة، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، 2014
3. ميادة جمال أحمد، المثيرات الشمية في التصوير المعاصر، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، 2014
4. يوسف نبيل راغب، المفهوم الفلسفي للفن التفاعلي كمدخل لتدريس التصوير في التربية الفنية، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان، 2008
5. منار علي ماهر، المعايير المؤثرة في تشكيل البنية الادراكية للفرد وأثرها على التفضيل الجمالي للأثاث، رسالة ماجستير، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، 2008
6. مسعد صابر اسماعيل، الضوضاء كأحد محددات تصميم المدارس، رسالة ماجستير، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، 2008
7. 7- رحاب عبد العظيم، تصميم الاحساس (المفهوم والجوانب والتطبيق)، رسالة ماجستير، كلية الفنون التطبيقية، جامعة حلوان، 2010

المراجع الأجنبية:

8. Richard Almond, 2011, Sensory and Emotional Immersion in Art, Glasgow School Of Art.